

وخفضهم للرؤوس إذعاناً واعترافاً، وإنما كان أيضاً لما أودعه إياه من علم وإحياءات وإرشادات، ومن تهذيب للنفوس وتقويم للأخلاق، وأنه لا ينافي علماً ثبتت صحته بالدليل والبرهان، ولا يعارض صلاحاً يمكن البشر أن يعتمدوا عليه في ترقية شئونهم، وإقرار السلام والأمن بينهم، وما تزال مبادئه ومثله وقواعد أحكامه ومناهجه هي النور الذي يهدي الحيران، ويرد الشارد، ويضيء آفاق الحياة ولن يزال كذلك في مستقبل الدهور والأزمان حتى يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

وليس القرآن وسيلة الهدى للعرب فقط - وإن بدئ بهم - بل اهتدى بأنوار معارفه العالية عامة البشر، كما أنه ليست الاستفادة من القرآن مقصورة على إصلاح العقائد والعادات فقط، بل أفاد العالم في توجيههم إلى علوم الطب والطبيعة وأسرار كائنات الأرض وكامنات السماء، وأفاد العرب خصوصاً في تقويم اللسان وتقوية البيان وتوسيع فنون اللغة والبلاغة والادب. فاذا أهلّ شهر رمضان فانه يذكر المسلمين بهذا، وينبهم إليه تنبيهاً قوياً وكأني بالقرآن الكريم يطل من علياء سمائه على المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض مع هلال رمضان فيناديهم: أنا الهدى فهل من مهتد؟ أنا النور فهل من مستضيء؟ أنا شعار مجدكم، وعنوان عزكم، ورمز عظمتكم، أنا هدية الحكيم، أنا رحمة الحكيم، أنا المنهاج القويم، أنا الصراط المستقيم، بي تعززون، وبمبادئ تسودون، فاعتصموا بي فأنا حبل الحكيم، واستظلوا بلوائتي فأنا ظل الحكيم " وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ".

فاذا انصت المسلمون إلى هذا النداء، وأجابوا داعي الحكيم فأصلحوا أنفسهم، ورجعوا إلى كتاب ربهم، فأجدر بهم أن ينالوا مجد الدنيا ومسجد الآخرة .

أما إذا استقبلوا القرآن على أنه كتاب يتلى لمجرد التعبد بتلاوته، أو كان تكريمهم إياه مقصوراً على عدم مسه إلا على طهارة، أو على حمله تفاؤلاً باستصحابه أو دفعاً لما يتوقع من أخطار، أو كتابة بعض آياته في مصاحف منسقة بخط جميل،